



الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط وآثارها العلمية

ما بين القرنين (5-9هـ/11-15م)

- بجاية أنموذجاً -

**Andalusian Migration to Central Maghreb and its Architectural Impacts
(11th-15th CE)**

Bijaya as a Case Study

أستاذ التعليم العالي، الطيب بوسعد

Pr. Boussaad tayeb

جامعة لونيبي علي - البلدة 2 -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية " الأمير خالد الجزائري "

قسم التاريخ وعلم المكتبات

boussadtayeb@gmail.com

الملخص باللغة العربية

يسلط هذا البحث الضوء على تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط عوامل الهجرة الأندلسية إلى بجاية ببيان عنصر مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط (بجاية أنموذجاً) والتي قسمناها إلى مرحلتين، تمثلت المرحلة الأولى ما بين القرنين (6-12هـ/8-12م)، وتجلت المرحلة الثانية ما بين القرنين (9-13هـ/11-13م)، بما ينسجم كرونولوجيا مع فترة الدولة الحمادية وعاصمتها بجاية، ومروراً بفترة الدولة الحفصية والتي خضعت لها بجاية سياسياً، وانتهاءً بفترة الدولة الزيانية وعاصمتها تلمسان، وأخيراً ركزنا على الدور العلمي للهجرة الأندلسية ببجاية في العلوم النقلية وخاصة الشرعية منها، والعلوم العقلية كالحساب والطب والفلسفة مثلاً، مبرزين في ثنايا هذا العنصر علاقة التأثير والتأثر والتلاقح الفكري بين علماء الأندلس وبجاية.

الكلمات المفتاحية: عوامل الهجرة، بجاية، مراحل الهجرة، العصر الإسلامي الوسيط

Abstract:

This research illuminates the history and civilization of Algeria during the medieval Islamic era, focusing on the factors of Andalusian migration to Bijaya, with a detailed exposition of the stages of Andalusian migration to Central Maghreb (Bijaya as a case study).

Stages of Migration:



The migration is divided into two phases:

First Phase (6th-2nd H./12th-8th CE): Coinciding chronologically with the Hammadid dynasty and its capital Bijaya.

Second Phase (9th-7th H./15th-13th CE): Spanning the Hafsids dynasty period (when Bijaya was politically subject to it), ending with the Zayyanid dynasty and its capital Tlemcen.

Scientific Contributions:

The study emphasizes the scientific role of Andalusian migration in Bijaya, particularly in:

Transmitted Sciences: Especially Islamic jurisprudence (fiqh).

Rational Sciences: Including mathematics (hisab), medicine, and philosophy.

It highlights the intellectual interaction, mutual influence, and cross-pollination between Andalusian scholars and those of Bijaya.

Translation ready for international medieval Islamic history journals

Keywords: Factors of Migration, Bijaya, Stages of Migration, Medieval Islamic Era

مقدمة

نتطرق من خلال هذه الورقة البحثية إلى موضوع جدير بالدراسة، يسلط الضوء على تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، والذي يتجلى عنوانه في: «الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط وأثارها العلمية ما بين القرنين (9-15هـ/11-15م) - بجاية أنموذجا -»، وهو من الموضوعات التي تستقطب اهتمام الباحثين في حقل الدراسات التاريخية الأكاديمية.

وللخوض في غمار هذا البحث نثير الإشكالية التي مفادها: فيما تتجلى الآثار العلمية للهجرات الأندلسية في المغرب الأوسط وحصريا في حضرة بجاية على مدار القرون المتعاقبة ابتداء من القرن 5هـ/11م إلى غاية القرن 9هـ/15م، بما يتزامن مع حركة الاسترداد بالأندلس في عصر ملوك الطوائف.

وللإجابة على الإشكالية الأم ترسمنا خطة البحث التالية: بعد المقدمة مباشرة تناولنا عوامل الهجرة الأندلسية إلى بجاية خلال الفترة الزمنية للدراسة، ثم عرّجنا على عنصر مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط (بجاية أنموذجا) والتي قسمناها إلى مرحلتين، تمثلت المرحلة الأولى ما بين القرنين (2-6هـ/8-12م)، وتجلّت المرحلة الثانية ما بين القرنين (7-13هـ/13-15م)، بما ينسجم كرونولوجيا مع فترة الدولة الحمادية وعاصمتها بجاية، ومرورا بفترة الدولة الحفصية والتي خضعت لها بجاية سياسيا، وانتهاء بفترة الدولة الزيانية وعاصمتها تلمسان، وأخيرا ركّزنا على الدور العلمي للهجرة الأندلسية ببجاية في العلوم النقلية وخاصة الشرعية منها، والعلوم العقلية كالحساب والطب والفلسفة مثلا، مبرزين في ثنايا هذا العنصر علاقة التأثير والتأثر والتلاقح الفكري بين علماء الأندلس وبجاية.

وتعاملنا مع المادة العلمية المقتبسة من مظاهرها وفق المنهج التاريخي، حيث أخضعناها بعد جمعها وسرد أخبارها للتحليل والنقد والمقارنة.

ولإنجاز هذا العمل العلمي المتواضع، اعتمدنا بشكل خاص على المصادر المتخصصة وعلى رأسها كتب الطبقات والتراجم، ومنها عنوان الدراية للغبريني وابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس والديباج المذهب لابن فرحون ونفح الطيب من



غصن الأندلس الرطيب لأحمد المقرئ التلمساني وتاريخ بني حماد للسان الدين بن الخطيب والبستان لابن مريم بالإضافة إلى كتب الرحلات والتراجم ومنها رحلة ابن خلدون.

وتمثلت أهم المراجع التي خدمت الموضوع فيما يلي: أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وعبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، وكتاب بجاية مكة الصغيرة لنخبة من الأساتذة على غرار محمد بسكر: ملامح التأثير الأندلسي في الحياة الثقافية ببجاية خلال القرن (7/13م)، ورشيد بورويبة: الدولة الحمادية، ووظفت بين طيات متون هذا البحث العديد من المقالات المستقاة من مجلة الأضالة لثلة من الباحثين الجزائريين والعرب عن بجاية وتاريخها الحضاري الإسلامي وأهمها: المهدي البوعبدلي: الحياة الفكرية ببجاية، رابح بونار: عبد الحق الإشبيلي، رشيد مصطفى: بجاية في عهد الحماديين، عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية، بالإضافة إلى دراسة مزردى فاتح: التفاعل العلمي بين دول المغرب الأوسط والأندلس، أطروحة دكتوراه.

1- عوامل الهجرة الأندلسية إلى بجاية:

عرفت بجاية في عصر الدولة الحمادية ازدهاراً ملحوظاً، شهد به الجغرافيون والرحالة المسلمون على غرار الإدريسي والعبدي، فقد وُصفت بأنها مدينة المغرب الأوسط وركن دولة الإسلام ونقطة استقطاب العلماء وعرف أهلها بمحاسن الأخلاق.

وجذب إليها مؤسسها "الناصر" عدداً كبيراً من السكان، وأعطى قاطنوها الجدد من الضرائب، وحث الأهالي على بناء المساكن¹، وانتشرت فيها المنازل الجميلة وأماكن الترفيه والمنتزهات، كالحدايق والحمامات وبُنيت فيها أحسن القصور حيث كان الناصر بن علناس يكلف رعاياه أن يبنيوا منازلهم ويوفر لهم مواد البناء، وكان لمدينة بجاية دار صناعة السفن ومدارس تعجب كل من زارها².

ولم تقتصر نهضتها على الجانب العمراني والاقتصادي بازدهار تجارتها، وإنما عرفت نهضة علمية، فبالرغم من تعاقب عدة أنظمة سياسية على حكمها، مختلفة في فكرها وتوجهاتها، فإنها حافظت على صدارتها باعتبارها الوجهة العلمية للمنطقة الشرقية ومثلت مع أفول دولة الموحدين وظهور الدولة الحفصية المركز الثقافي الأول في المغرب الأوسط قبل أن تكثر عليها الغارات الزيانية، فانتقلت الأهمية إلى مدينة قسنطينة، ومع ذلك بقيت حاضنة ثقافية لمنطقة زاوية وما جاورها، وترجع أسباب محافظتها على زخمها الثقافي ومكانتها العلمية إلى عدة عوامل أثارت اهتمام الأندلسيين³:

- استفادتها من الرصيد العلمي الذي خلفته قلعة بني حماد، حيث رحل إليها جلة من علماء القلعة، أمثال محمد بن عبد الله المعافري القلي المعروف بابن الخراط ومنهم محمد بن علي بن حماد الصنهاجي (ت628هـ/1230م)، كان ملماً بعلوم القرآن والحديث والفقه والأدب والتاريخ، من أشهر كتبه: "النبد المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية"⁴.
- وجد العلماء المهاجرون الأندلسيون في بجاية التسهيلات المادية والمعنوية، التي وفرها لهم المنصور بن الناصر (ت498هـ/1104م)، مما شجعهم على الاستثمار فيها مادياً وفكرياً، حتى صاروا يمثلون غالبية الطبقة المثقفة ببجاية⁵.

¹ عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الهجرة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص103.

² عبد العزيز لعرج وآخرون: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص194 وما بعدها؛ رشيد مصطفى: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصاله، ع1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1971، ص84.

³ محمد بسكر: ملامح التأثير الأندلسي في الحياة الثقافية ببجاية خلال القرن السابع الهجري، بجاية مكة الصغيرة، دراسات مهداة للشيخ محمد الطاهر آيت علجت، مجلة الربينة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مطبعة ع. قرفي، باتنة، الجزائر، 2022، ص91.

⁴ يوسف الطيب: طبقات فقهاء المالكية في بجاية بين القرن (5-9هـ/11-15م)، إنتاجهم وتأثيرهم العلمي في المغرب والأندلس والمشرق، كتاب جماعي، المذهب المالكي في الجزائر من التأسيس إلى التفعيل، طباعة مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي مرسلني عبد الله، تيبازة، الجزائر، 2021، ص88-89-90؛ محمد بسكر، المرجع السابق، ص136.

⁵ المهدي البوعبدلي: الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية، مجلة الأصاله، ع19، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، مج 07، ص136.

- أدرك الوافدون على بجاية الحرية الفكرية والدينية، فحكماء جعلوا منها مرتعاً خصباً لتنوّع الأفكار مع توفر الأمن والتسامح الديني، استقر البعض بها هروباً من الاضطرابات السياسية التي هزّت الأندلس في بعض مراحلها التاريخية، مثل ما حدث للشيخ عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي، بعد سقوط دولة المرابطين⁶. ولجأ إليها الأمير عبد الله بن المعتصم بن صمادح الأندلسي صاحب ألمرية مع أفراد أسرته بعد أن خلعه ابن تاشفين المرابطي من إمارته، فاستقبله أمير بجاية الحمادي المنصور وأقطعه مدينة دلس وضواحيها تقديراً لمكانته الأدبية⁷. كما كان الاضطهاد الفكري والمذهبي من أسباب لجوء علماء الأندلس إلى بجاية وخاصة علماء الفلسفة والتصوف الذين اضطهدوا في العهد المرابطي، على غرار ما حدث لمحمد بن الحسين الشهير بالميورقي - من علماء التصوف - لجأ من الأندلس إلى بجاية هارباً من صاحب المغرب ابن تاشفين⁸. وكذلك عبد الحق ابن سبعين (ت669هـ/1270م)، الذي ذاعت شهرته في الفلسفة أثناء إقامته بسبتة، مما أوغر صدور الفقهاء عليه فاتهموه بالكفر، فاضطر حاكم سبتة إلى طرده منها فانتقل إلى بجاية⁹.

واستقبلت مدن المغرب الأوسط كجزائر بني مزغنة والبليدة والمدينة وتلمسان عدداً من المهاجرين الأندلسيين، غير أن بجاية كانت هي الوجهة المقصودة لأعيانهم وتجّارهم، ولم يكن استقرارهم بها مرتبطاً بتأسيس الحماديين لعاصمة جديدة بها، وإنما جعلوا منها قرارة لهم قبل ذلك لمواصفات كثيرة منها:

- موقعها الطبيعي الإستراتيجي والحصين، فضلاً عن جمال مناظرها ونقاء هوائها، فهي تشبه بعض المدن الساحلية الأندلسية، ثم طيبة أهلها من الأمازيغ المحافظين الذين يقدّسون العلم ويقدرّون العلماء، حتى أن أبا مدين شعيب (ت594هـ/1197م) لما سئل عن سبب اختياره لها، قال: "... إنها تعين على طلب الحلال"¹⁰، ووصف الرحالة الأندلسي محمد العبدري، حاضرة بجاية وأهلها بأنها: "... بقية قواعد الإسلام ومحلة جلة من علماء الإسلام... ولأهلها من حسن الخلق والأخلاق، ما أنبأ عن طيب الهواء والماء والتربة والأعراق... وأهلها يواظبون على الصلاة في جوامعها المشهورة مواظبة رعاية...، وبلغ عدد مساجدها ثلاثة وسبعون مسجداً، وكان قرب قصر اللؤلؤة مسجد عظيم يصلي فيه الملك"¹¹.

- علاقة بجاية الاقتصادية القديمة مع شبه الجزيرة الإيبيرية، جعلت الأندلسيين يستقرون بها، فالجغرافي الأندلسي أبو عبيد الله البكري (ت1094/487م)، الذي عاصر نشأتها، يؤكد أنها بعد انتقال الحماديين إليها أصبحت تتوفر على جالية

⁶ رابع بونار: عبد الحق الإشبيلي محدث القرن السادس الهجري، مجلة الأصالة، ع19، - خاص ببجاية -، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، مجلد 07، ص259-271.

⁷ محمد بسكر: المرجع السابق، ص92.

⁸ أحمد المقرئ التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب...، تحقيق إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، 1968، ج2، ص155.

⁹ محمد بسكر: المرجع السابق، ص92.

¹⁰ أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن أبي شنب، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص13-07؛ ابن مريم المليتي المديوني: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق أ.د. عبد القادر بوباية، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2011، ص209؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص93.

¹¹ محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تحقيق الأستاذ أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، دط، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، دت، ص23-24؛ رشيد مصطفى: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، ع1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1971، ص54.



أندلسية، متكونة من التجار الذين حوّلوا إلى مركز تجاري متوسطي وحملوا معهم تقاليدهم وخبرتهم وشغلوا المناصب الهامة في التجارة¹².

- تدهور الحياة السياسية بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس، فانتقل إلى بجاية أهالي مايورقة وألمرية وإشبيلية وحط أعلام كثيرون رحالهم بالمغرب الأوسط، ثم أدى ما خلفه قيام دويلات ملوك الطوائف المتنافرة من آثار سلبية، وما أعقبها من حركة الاسترداد الصليبية التي أجبرت الكثير من الأندلسيين إلى الهروب من ملاحقة محاكم التفتيش الإسبانية¹³.
- قيام دولة المرابطين وسقوط الأندلس في يد يوسف بن تاشفين سنة (488هـ/1095م)، جعل الكثير من علمائها يهاجرون إلى مقر حكمها بالمغرب الأقصى، وهو ما أكدته المراكشي: "فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة (الأندلس) من أهل كل علم فحول، حتى أشبهت حضرته، حضرة بني العباس في صدر دولتهم"¹⁴، وأحداث التاريخ تثبت أن علماء بجاية عارضوا حكم المرابطين عندما أظهرت دولتهم العداء لمدرسة أبي حامد الغزالي وللفكر الصوفي وأهله، فأوغلت في إيذائهم بإيعاز من الفقهاء، فتعرض أقطابه في عموم المغرب الإسلامي إلى الاضطهاد والتنكيل، ولما وصل أمر إتلاف كتاب الإحياء ببجاية، عارضه الحسن بن علي المسيلي المقيم في حاضرة بجاية، وهو الشائع عنه "أبي حامد الغزالي الصغير" وجرأته وتحديه لأمر المرابطين علي بن تاشفين¹⁵.

وفي العهد الحفصي ازدادت أفواج المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، لما وجدوه من الترحيب والعناية الفائقة من سلطان تونس الحفصي، فقد استغل الحفصيون ظروف بلادهم لتوطيئهم، وحرصوا على استقدام عدد كبير من العلماء وأصحاب الحرف والفنون، وكانت صلة أبي زكرياء الحفصي (ت 647هـ/1249م) بالأندلسيين وثيقة ترجع إلى أيام حكمه لإشبيلية ممثلاً للدولة الموحدية، وعندما تولى حكم الدولة الحفصية استقبل موجات المهاجرين الإشبيليين وأقطعهم الأراضي في بجاية وما جاورها واستعان بهم في تسيير دواليب دولته، وارتفع عددهم حتى صارت لهم حومات خاصة بهم داخل المدينة، من بينها حومة كانت تقع قرب الميناء القديم بمحاذاة ضريح سيدي عيسى السبوكي المطل على خليج سيدي يحي¹⁶.

وسمى أهالي بجاية منطقة الوافدين حومة الأندلسيين، ولهذا فإن الجالية الأندلسية كانت مستقرة ومهيكلية خلال العهد الحفصي برئاسة زعيم يمثلها يدعى رأس الجماعة الأندلسية¹⁷.

ومن خلال هذه المعلومات يتجلى لنا تعامل الدولة الحفصية مع الأندلسيين بكل أريحية، فمكّنوهم من المناصب الإدارية بعد أن خبروا إخلاصهم ووقفوا على كفاءتهم العلمية، فتقلد الأندلسيون خطة القضاء والحجابه ورياسة الدواوين ببجاية وقسنطينة وتونس، ففي حكم ابن أبي إسحاق الحفصي تولى محمد بن أبي بكر الإشبيلي - جد المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون - الحجابه لابنه أبي فارس الذي كان أميراً على بجاية، وظلت أسرة ابن خلدون تدير أمور بجاية مدة طويلة، فكان آخر

¹² محمد بسكر: المرجع السابق، ص 93.

¹³ محمد بسكر: نفس المرجع، ص 93.

¹⁴ عبد الواحد بن علي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقق خليل عمران المنصور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 92 وما بعدها، ص 114 وما بعدها.

¹⁵ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 95؛ الغبريني: عنوان الدراية، ص 14.

¹⁶ عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، ع 13، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1973، مجلد 04، ص 194.

¹⁷ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 94.



من أشرف على أمورها منهم - في عهد أبي عبد الله الحفصي - "يحيى بن خلدون" مؤلف كتاب "بغية الرواد في تاريخ الملوك من بني عبد الواد"¹⁸.

وقد كانت بجاية تضم كثيراً من العلماء والأدباء وكان الطلبة يدرسون مختلف العلوم، التوحيد والفقه والحديث وعلوم اللغة والأدب والحساب والطب وعلم الفلك وحتى الفلسفة، ولكثرة صلحاءها وأوليائها صار أهلها يلقبونها بمكة الصغيرة¹⁹.

ويشهد على كثرة علمائها أبو علي المسيلي بقوله: "أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتياً"²⁰. وإذا كان من المفتين هذا العدد الهائل، فكم يكون عدد المحدثين والنحاة والأدباء.

ونالت بجاية أسى منزلة في عهد الناصر وابنه المنصور (460-481هـ/1067-1088م) من قوة وحسن تدبير لشؤون الدولة، ما أعظم أمرها في أعين ملوك عصرهما حتى أن بابا روما غريغور السابع (481-498هـ/1088-1105م) كان يتوَدَّد للناصر ويكتبه مكاتبات يلاطفه فيها ويوصيه خيراً برعاياه من النصاري، إذ كانت في القلعة كنيسة للنصارى ولا يستبعد أن تكون مثلها في بجاية التي كانت تضم جماعات من نصاري روما وجنوة كانت تشتغل بالتجارة وتغترف من مناهل المعرفة ولاسيما ببجاية²¹.

وكانت ببجاية تدرس علوم أخرى لها صلة بالصناعات والحياة المدنية كالطب وغيره، وكان يَرِدُ على بجاية طلبية من كل قطر حتى من أقطار النصاري يروون أن ليونارد فيبوناتشي العالم الإيطالي الرياضي المشهور تلقى علومه ببجاية، إذ يعترف لها الأجانب بتفوقها على بلدانهم وبإشعاعها الثقافي العالمي²².

واستمرت آثار هذه الحركة العلمية طوال القرن 7هـ/13م، وكانت مدينة بجاية منزلاً مفضلاً لكثير من العلماء النازحين، وقد أقاموا بها مدرسة علمية زاهرة، استمرت لعصور مديدة، وبرز فيها كثير من العلماء ويرجع ذلك أولاً إلى موقع بجاية الجغرافي، وقرها من معظم ثغور الشرق الأندلسي، وثانياً لأنها كانت بعد عاصمة الدولة الحفصية تونس من أهم مراكز التجمع العلمي، وثالثاً كانت منذ البداية مقصد جمهرة من زعماء العلماء الأندلسيين النازحين، فكانوا هم قدوة في تفضيلها والتزول بها²³.

2- مراحل الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط (بجاية أنموذجاً):

إنَّ الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط وحصرها إلى بجاية قد تعاقبت على مراحل متباعدة من حيث تعدادها وعواملها، واحتضنتها مدن المغرب الأوسط كجزائر بني مزغنة (العاصمة) والبليدة ومتيجة على نطاق واسع، بالإضافة إلى المدينة وتميرت وتلمسان وتنس ووهران، التي استقبلت أعداداً معتبرة من المهاجرين الأندلسيين على اختلاف فئاتهم من علماء وتجار وأصحاب الصنائع والحرف والمولعين بالفنون، غير أن بجاية مثلت مقصداً ومرصداً لأعيانهم وأشرافهم وتجارهم، وكان

¹⁸ عبد الرحمن بن خلدون: رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص92-99؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص95.

¹⁹ رشيد مصطفى: بجاية في عهد الحماديين، ص85؛ الغبرني: عنوان الدراية، ص15 وما بعدها.

²⁰ الغبرني: عنوان الدراية، ص15؛ رشيد مصطفى: المرجع السابق، ص87.

²¹ مصطفى: المرجع السابق، ص90؛ رشيد بورويبة: الدولة الحمادية - تاريخها وحضارتها -، ط1، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص164-165-72 نص الرسالة كاملة من البابا غريغور.

²² مصطفى: المرجع السابق، ص89؛ رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص164-199.

²³ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص194-195.

استقرارهم في حواضر الجزائر خلال العصر الوسيط في عهد الدولة الرستمية ثم توالى بعد تأسيس الدولة الحمادية واستمر إلى غاية دولة المرابطين ودولة الموحيدين والدولة والحفصية بصورة مكثفة.

يذكر ابن خلدون: "أن أهل الأندلس افترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلّبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب الإسلامي وإفريقية وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وانتقل الكثير منهم طوعاً وكرهاً وكانت هجرتهم متسعة النطاق فكان لأهل المغرب الإسلام حظ كبير من الحضارة".²⁴

وقد مرت الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط بعدة مراحل منذ القرن الثاني 2هـ/8م إلى ما بعد سقوط غرناطة، تبدأ المرحلة الأولى من (القرن 2 إلى القرن 6هـ/12-8م)، والمرحلة الثانية من القرن (7-9هـ/13-15م)، أما المرحلة الثالثة فإنها تتلو ما بعد سقوط غرناطة.²⁵

المرحلة الأولى (ق 2-6هـ/8-12م):

كانت الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة ضئيلة نظراً لقلة العوامل المشجعة على الاستقطاب مع سيادة الأوضاع السياسية غير المستقرة قبل تأسيس الدولة الرستمية سنة (160هـ/776م) بسبب ثورات الخوارج، إلا أن فترة تأسيس دول المغرب الإسلامي، الإدريسية (172-192هـ/788-807م) والدولة الأغلبية (184هـ/800م) بالخصوص قد كانت أكثر جذباً للأندلسيين.²⁶

- في الوظائف والقضاء والتعليم، وأدت الظروف الاجتماعية المتردية بالأندلس بسبب سيادة الجفاف وانتشار الأمراض والأوبئة وحدوث المجاعات ما بين (131-136هـ/749-754م)، مما دفع بعض سكان الأندلس إلى الهجرة نحو طنجة وزويلة وإلى مدن المغرب الأوسط.²⁷ وتكررت هذه الظاهرة نتيجة القحط والمجاعات في بلاد الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل سنة (147هـ/764م) وفي سنة (197هـ/812م) على عهد الأمير الحكم بن هشام الرضي، وبالموازاة تسببت ثورة الرض سنة (189هـ/805م) في مقتل 72 من أشرف أهل قرطبة وعلمائها وصلحائها على يد الحكم وهجرة أهل الأندلس إلى مدن فاس والقيروان وتونس وجزائر بني مزغنة وبجاية.²⁸

- وبالرغم ما عرفته الأندلس من نهضة ثقافية وحركة عمرانية في عصر حكم عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/822-852م) تعرّض الأهالي لفرض الضرائب والجبايات واستفحال المجاعة سنة (207هـ/822م) وفساد الغلات الزراعية

²⁴ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عادل بن سعد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2010، ج1، ص299.

²⁵ فاتح مزودي: التفاعل العلمي بين دول المغرب الأوسط والأندلس ما بين القرنين (2-8هـ/14-8م)، أطروحة دكتوراه ل.م.د، إشراف أ.د. الطيب بوسعد، جامعة البليدة 2، 2023/2022، ص84.

²⁶ رفيق خليفي: تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط (ق 2-10هـ/8-16م)، مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، مؤسسة حسين رأس الجبل، قسنطينة، الجزائر، 2013، ص90-91؛ فاتح مزودي: المرجع السابق، ص85.

²⁷ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جورج كولان وليفي بروفنسال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009، ج2، ص46-47.

²⁸ مؤلف مجهول: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، ص166-187.

بسبب انتشار الجراد، قد جعل الأوضاع الاجتماعية متدهورة²⁹، مما دفع الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى طلب المساعدة الغذائية من الدولة الرستمية بواسطة السفن الأندلسية الراسية على امتداد سواحلها وموانئها³⁰.

وفي هذه السنة وقعت ثورة أهل إلبيرة ضد عبد الرحمن الأوسط كرد فعل على مظالم أهل الذمة ترتب عليها قتل ذريع، وأفضت العصبية القبلية بين المضربة واليمانية إلى استفحال الفتنة في وقعة لورقة التي دامت سبع سنوات نجم عنها مقتل ثلاثة آلاف رجل³¹.

- وخلال هذه الفترة شهد المغرب الأوسط مرحلة استقرار سياسية وازدهار اقتصادي وثقافي في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/774-908م)، وكانت تهرت تستقطب أهل الأندلس من علمائها وتجارها وغيرهما، كان منهم أعضاء في مجلس الشورى على عهد عبد الرحمن بن رستم الفقيه مسعود الأندلسي وعمران بن مروان³².

- ومن مظاهر التقارب بين المغرب الأوسط في عهد الدولة الرستمية والأندلس في عهد الإمارة الأموية، مساهمة البحارة الأندلسيين في بناء بعض الموانئ وإنشاء بعض المدن، وذكر الجغرافي الأندلسي أبو عبيد الله البكري: "أن مدينة تنس قد أسسها وبناها البحريون الأندلسيون منهم الكركني وأبو عائشة والصقروصهيب وذلك سنة (262هـ/875م) ويسكنها فريقان من أهل إلبيرة وأهل تدمير، واحتكوا بسكان المدينة من البربر وساعدوهم على إنشاء الأسواق بها، وبلغت مراكب هؤلاء الأندلسيين إلى مدينة بجاية وأخضعوها، ثم إن الباقيين بتنس تزايد عددهم واتسعت ثروتهم، حتى رحل إليهم أهل سوق إبراهيم (تقع بين تنس وشلف) وتعاونوا على تعميرها. وأصحاب تنس أشرف حسنيون، من ولد إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن أبي طالب³³.

ويعلق ابن حوقل في وصفه لمدينة تنس: "... وهي من أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها..."³⁴.

كما وصف البكري مدينة وهران وذكر أسماء من بناها وهما محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من البحريين الأندلسيين، يُرجح أنهم من أهل مدينة ألمرية، الذين ينتجعون مرسى وهران بالاتفاق مع سكانها من البربر، نفزة وبني مسقن، وهم من أزداجة، وتأسس على أيديهم سنة (290هـ/902م) واستوطنوها سبعة أعوام ورغم إخراجهم منها إلا أنهم عادوا إليها سنة (298هـ/910م)³⁵، غير أن مدينة وهران قد تأسست في عهد أمراء بني خزر المغراويين

²⁹ ابن حيان القرطبي: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقق محمو علي مكي، دط، دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1994، ص 225.

³⁰ إسماعيل سامعي: تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2018، ص 102؛ مزردى: المرجع السابق، ص 87.

³¹ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الرقاق، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987، ج 5، ص 469-470؛ فاتح مزردى: المرجع السابق، ص 86.

³² جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 131-135.

³³ البكري: المسالك والممالك، ص 153-154؛ أنظر: الطيب بوسعد: العلاقات الاجتماعية بين الدولة الأغلبية والدولة الأموية في الأندلس - الهجرات المتبادلة أنموذجاً، - مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، ع12، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البليدة 2، الجوائر، 2015، ص 115-116.

³⁴ ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص 78؛ مزردى: التفاعل العلمي بين دول المغرب الأوسط والأندلس، ص 88.

³⁵ البكري: المصدر السابق، ص 164-165؛ بوسعد: المرجع السابق، ص 116.



الذين كان موطنهم الأصلي من سهول مليانة إلى مستغانم، وأول من اختط المدينة "خزر بن حفص المغراوي" بالاتفاق مع الأمير الأندلسي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (ت299هـ/911م)³⁶.

وكانت مساهمة الأندلسيين معتبرة في إعمار مدينتي تنس ووهران والعمل على ازدهارهما اقتصادياً وتجارياً من جديد وقاموا بدور سياسي في تأمين الحاضرتين، كان له الفضل في توثيق الروابط بين الدولة الأموية في الأندلس والدولة الرسمية في المغرب الأوسط³⁷.

ولم يقتصر تواجد الأندلسيين في القرن (3هـ/9م) في المغرب الأوسط على مدنه الساحلية الغربية، بل أثبتت المصادر الجغرافية وصولهم إلى المدن الساحلية الشرقية ومنها بجاية انطلاقاً من تنس، كما ذكرنا سابقاً اعتماداً على البكري، وقد كان أكثر تجار بونة أندلسيين، وليس من المستبعد رسوهم بمدينة مرسى الخرز (القالبة) لوفرة مادة المرجان بها³⁸. وكانت الجالية الأندلسية أيضاً مهيمنة على التجارة في بجاية ومرسى الدجاج ومرسى فروخ خلال القرن (4هـ/10م) وباكورة القرن (5هـ/11م)³⁹.

وخلال القرن 4هـ/10م هاجرت أسرة بني حمدون الأندلسية من الأندلس سنة (269هـ/883م)، وشدّ الرحال "حمدون" ببجاية وتحالف مع أبي عبد الله الشيعي ولما بسط نفوذه في إفريقية أمر "علي بن حمدون" ببناء مدينة المسيلة وسماها بالمحمدية وأصبحت حاضرة للعلم والعلماء والأدباء، إلا أنها لم تشهد استقطاباً واسعاً للعنصر الأندلسي باستثناء البعض منهم أمثال محمد ابن هاني الأندلسي (ت362هـ/973م) شاعر بني حمدون والدولة الفاطمية الذي ترك إشبيلية، ووصل إلى المغرب الأوسط سنة (347هـ/958م) واستقر في المسيلة⁴⁰.

وفي القرن (5هـ/11م) تكثفت الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط من جزاء ظهور الحروب الصليبية - حركة الاسترداد - وسقطت خلالها الخلافة الأموية في سنة (422هـ/1031م) بالأندلس وعزل آخر خلفائها "هشام الثالث المعتمد بالله (ت428هـ/1036م)" وانقسمت إلى عدة ممالك انفصالية، قرطبة وأحوازها وإشبيلية ومناطق غرب الأندلس ومدن غرناطة وبلنسية وبطليوس ومناطق شرق الأندلس وسرقسطة الثغر الأعلى وطليطلة الثغر الأوسط ودانية وجزر البليار، ساد بين هذه الدويلات وملوك الطوائف الصراع على السلطة والتحالف مع النصاري، وفي ظل هذه الظروف السياسية بدأت الممالك النصرانية تحضّر لمشروع الاستيلاء على أقاليم بلاد الأندلس⁴¹.

³⁶ المهدي البوعبدلي: تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، دط، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص482-483؛ مزودي: المرجع السابق، ص88.

³⁷ موسى هواري: دور الرحالة الأندلسيين في إعادة بناء المدن الساحلية بالمغرب الأوسط - وهران وتنس أنموذجاً -، مجلة الدراسات التاريخية، ع1، الجزائر، مجلد 10، 2022، ص84؛ مزودي: المرجع السابق، ص89.

³⁸ البكري: المسالك الممالك، ص143-144.

³⁹ عبد العزيز فيلاي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999، ص101-102؛ مزودي: المرجع السابق، ص89.

⁴⁰ ابن عذاري: البيان، ج2، ص242-243؛ رشيد بورويبة: الجزائر في التاريخ - العهد الإسلامي -، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج3، ص151-182-183.

⁴¹ أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دت ص254؛ مزودي: المرجع السابق، ص90.



وتوالى هجمات الممالك النصرانية على المدن الأندلسية والاستيلاء عليها على غرار مدينة طليطلة التي سقطت سنة (478هـ/1085م) على يد ألفونس السادس ملك قشتالة⁴².

ثم دخل النصارى سرقسطة فسقطت قاعدة الإسلام الكبرى في شرق الأندلس سنة (512هـ/1118م)، وهاجر نحو 50 ألف مسلم أندلسي لجأ أغلبهم إلى موانئ المغرب الأوسط وكانت أول هجرة أندلسية نحو "جزائر بني مزغنة" فاستقروا في أعالي الجزائر يحيى الثغرين، ويعود إليهم الفضل في إحياء المنطقة والقضاء على أحرار بوزريعة⁴³.

وكانت هجرة أهل بلنسية الشهيرة هجرة كثيفة نحو تونس الحفصية وبجاية، كما انتقلت عائلات كثيرة من تونس واستقرت أولاً بمدينة القل وتدلّس ومنها إلى فحّص الجزائر ومتيجة أيام اشتداد الحملات الصليبية الإسبانية على بجاية وبونة والقالة وهي الهجرات التي تدفقت نحو المغرب الأوسط منذ عهد المرابطين والموحدين⁴⁴.

إن الهجرة الأندلسية الثانية في منتصف القرن 6هـ/12م، فقد تزامنت مع سقوط مدينة "ألمرية"، وكانت محطة استقرارها الأولى ببجاية، ثم تحولت إلى فحّص الجزائر العاصمة ومتيجة واستوطنت بساتين "تمنفوست" لقرب سهول المنطقة من الموانئ البحرية للجزائر (الشرقية)، كما استقر بعض اللاجئين الأندلسيين في تادلّس "دلّس حالياً"⁴⁵.

وتتميز الهجرات الأندلسية الأولى بأنها هجرات أسر وجمية ونخب من العلماء كان لهم الأثر الواضح المعالم في جميع المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية ولاسيما منذ 4 إلى القرن 6هـ/10-12م، وقد استقطبتهم بجاية الناصرية بصورة بارزة⁴⁶.

المرحلة الثانية (ق 7-9هـ/13-15م):

تزامنت المرحلة الثانية من تاريخ الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط مع مطلع القرن (7هـ/13م)، شهد خلاله المغرب الإسلامي أفول تواجد المسلمين ببلاد الأندلس وخاصة بعد تراجع دور الموحدين وضعفهم السياسي والعسكري بعد الهزيمة النكراء التي تكبدوها في معركة حصن العقاب سنة (609هـ/1212م)⁴⁷.

⁴² مزردى: المرجع السابق، ص 91.

⁴³ حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة (512هـ/1118م) مع أربع وثائق جديدة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1991، ص 27؛ محمد الأمين بلغيث: حلقات في تاريخ الغرب الإسلامي، ط 1، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 66؛ بوسعد: علماء متيجة، ص 93.

⁴⁴ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1990، ص 120.

⁴⁵ محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 59؛ الطيب بوسعد: علماء متيجة في العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، كتاب جماعي، البليلة تاريخ مدينة وتراث مجتمع، ط 1، دار أجيال الرقمي، أولاد فايت، الجزائر، 2023، ص 93.

⁴⁶ ناصر الدين سعيدوني: صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر، المجلة العربية للثقافة، ع 27 - عدد خاص بالتاريخ العربي في الأندلس -، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مصر، 1994، ص 232؛ الطيب بوسعد: علماء متيجة، ص 93.

⁴⁷ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، ج 4، ص 263.



وأدى هذا الوضع إلى قيام ثلاثة دول في المغرب الإسلامي، الزيانية في المغرب الأوسط والمرينية في المغرب الأقصى والحفصية في المغرب الأدنى، التي خضعت لها بجاية بالدرجة الأولى وتارة تتعرض للتدخل الزياني⁴⁸، بالإضافة إلى دولة بني الأحمر في غرناطة آخر معاقل الإسلام في الأندلس⁴⁹.

وقد برزت في إسبانيا النصرانية في نهاية القرن (6هـ/12م) وبداية القرن (7هـ/13م) خمس دول هي قشتالة وأرغون وليون ونفار ومملكة البرتغال وكانت أقوى دولة مملكة قشتالة بقيادة الملك "ألفونس الثامن" الذي انتصر على الموحدين في معركتي الأرك سنة (591هـ/1194م) وحصل العقاب، وازدادت قوة مملكة قشتالة بعد ضمها للممالك الأخرى وتمكنت جيوش "فرديناند الثالث" من السيطرة على قرطبة سنة (633هـ/1236م) وحولوا المسجد الجامع إلى كنيسة، واستولوا على مدينة دانية في سنة (641هـ/1243م) ومدينة جيان ومدينة شاطبة في سنة (643هـ/1244م)، ثم إشبيلية في سنة (646هـ/1248م) وانتقال عاصمة مملكة قشتالة من طليطلة على إشبيلية وبعدها مرسية سنة (664هـ/1266م)⁵⁰.

أما ملك أرغون "خايي الأول" فقد تمكنت جيوشه من إسقاط بلنسية في سنة (636هـ/1238م)، وتعاونت هاتان الدولتان على مهاجمة المسلمين بالأندلس والقضاء على الوجود الإسلامي والموحدين، ناهيك عن مملكة البرتغال التي احتلت الأراضي التابعة للمسلمين غرب الأندلس، وفي خضم هذه الأحداث بدأت الهجرة الأندلسية من المدن التي ضاعت بسبب التوسع النصراني وقد لجأوا إلى غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس والأغلبية توجهوا نحو بلاد المغرب الإسلامي وخاصة المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان وإلى مدن أخرى وفي مقدمتها بجاية⁵¹.

وهناك مجموعة من الأندلسيين قدمت من غرب الأندلس عقب سقوط إشبيلية ولجأت إلى المغرب الأوسط وتلمسان بشكل خاص ووهران ومعسكر ومازونة ومستغانم قبل سقوط غرناطة سنة (897هـ/1492م)، وتشكلت جاليات أندلسية عديدة كاسرة ابن وضاح وابن ملاح والعديد من العلماء أشهرهم أبي عبد الله الأيلي وأبو بكر بن الخطاب الغافقي وابن الحباك الذين كان لهم الأثر الكبير في الحياة الثقافية والسياسية في تلمسان⁵².

وفي بجاية اشتهرت أسرة وبني سيد الناس الأندلسيين من حيث الأصول، سجلت شهرة وحازت مكانة سياسية وعلمية ونبغ منهم عدد من العلماء والفقهاء ومن أهم علماء هذا البيت أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي القاسم سيد الناس اليعمري الإشبيلي (ت659هـ/1261م)⁵³.

⁴⁸ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير - العصر الإسلامي -، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2، ص875-879.

⁴⁹ عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ج4، ص218.

⁵⁰ ابن الأبار: الحلة السيرة، تحقق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج2، ص303؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1997، ص34؛ مزودي: المرجع السابق، ص95.

⁵¹ عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، ط2، دار القلم، دمشق، سوريا، 1981؛ ص480؛ علي حسين الشطشاط: نهاية الوجود الغربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص61؛ مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج3، ص77؛ مزودي: المرجع السابق، ص95؛ عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، ع13، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1973، مجلد 07، ص194.

⁵² مختاري حسان: المرجع السابق، ج3، ص78.

⁵³ فوزية لزغم: البيوتات العلمية بقسنطينة وبجاية في ظل الحفصيين، مجلة عصور الجديدة، ع14-15، جامعة وهران، الجزائر، 2014، ص209؛ مزودي: المرجع السابق، ص465-466.



فقد أقامت أسر أندلسية بزعامة سيدي أحمد الكبير في مدينة البليدة عقب تأسيسها سنة (942هـ/1535م)، وأنشأت جماعات أخرى قادمة من قشتالة وثور بلنسية مدينة القليعة سنة (957هـ/1550م).⁵⁴

3- الهجرة الأندلسية إلى بجاية ودورها العلمي:

إنّ مدينة بجاية التي تأسست على يد الملك الناصر بن علناس الحمادي سنة (460هـ/1067م) وسميت إذ ذاك بالناصرية، لم يمض عليها ربع قرن حتى استحوطت إلى عاصمة ضاهت عواصم العالم الإسلامي الاقتصادي والعلمي وتجاوز عدد سكانها مائة ألف نسمة⁵⁵. وظلّت لأحقاب طويلة مهذاً لحركة علمية حيثة، ازدهرت في المغرب الأوسط، ونافست قرينتها تلمسان، وكانت هذه الحركة العلمية التي اختصت بها بجاية تمتاز بأنها امتداد لحركة العلوم الأندلسية المجيدة⁵⁶.

بقيت بجاية على مدار التاريخ من التأسيس الحمادي إلى التبعية للدولة الحفصية وقبلها الموحدية، مرصداً لتدريس مختلف العلوم، يرتادها العلماء والطلبة من كل حذب وصوب، ومثلت مقصداً لهجرة العديد من علماء الأندلس إليها والتي جعلت سوق العلم فيها نافقة في عموم المغرب الأوسط، وتمتعت بجاية بنوع من التعليم المميز في جوامعها ومدارسها، فقد أنشأ الناصر بن علناس، منذ تأسيسها معهد سيدي تواتي، الذي كان يستوعب ثلاثة آلاف طالب يتلقون فيه كل العلوم بما فيها العقلية، وكانت الفتيات مرخص لهن ممارسة التعليم (ألفت فتاة محاضرة دامت ثلاثة أيام حول بروج الشمس أمام مجموعة من العلماء الأجانب)، وبهذا ظلت بجاية لأزيد من ثلاثة قرون منارة للعلم وبواسطتها انتقل التراث العلمي الأندلسي إلى تونس والمشرق الإسلامي، ومن خلالها استقبلت بلاد زواوة العلماء الذين توزعوا في البوادي والقرى الداخلية لنشر العلم وتأسيس الزوايا، يؤازرهم في ذلك علماء المنطقة من البجائيين⁵⁷.

لم تكن بجاية المنتج السياحي الذي يتجمع فيه الوافدون من المغرب الإسلامي والمشرق أو المهاجرون من الأندلس، ولما تكوّنت فيها مدرسة خاصة بها، امتزج فيها فكر علماء المغرب الأوسط بفكر علماء الأندلس الذين أثروا في الحياة الثقافية (العلوم النقلية والعقلية) وغيروا من نمط التعليم ومراكز التعليم كانت منتشرة عبر مساجدها ومدارسها مثل الجامع الأعظم وجامع القصبة وجامع الموحدين ومسجد الريحانة الذي استقبل فيه المهدي بن تومرت ومسجد المرجاني ومسجد النطايع ومسجد الفقيه أبي زكرياء في حومة اللؤلؤة، كما وجدت بها بعض الزوايا والأربطة (أو الربط)، حق لها أن تسمى بمدرسة بجاية الأندلسية على حد تعبير الباحث عبد الله عنان⁵⁸.

وقد نبغ علماء الأندلس المهاجرون إلى بجاية في مختلف العلوم النقلية والعقلية وساهموا في إثرائها وازدهارها، كما استفادوا من علماء بجاية.

أ- دور علماء الأندلس في علوم القرآن ببجاية:

⁵⁴ محمد بلغيث: المرجع السابق، ص 66؛ بوسعد: المرجع السابق، ص 92-93.

⁵⁵ المهدي البوعبدلي: الحياة الفكرية ببجاية، ص 133.

⁵⁶ عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية، ص 193.

⁵⁷ الطيب بوسعد: علماء بجاية في الفقه المالكي خلال العصور الوسطى ما بين القرنين (5-11هـ/11-15م)، مشروع كتاب، الجزائر، 2021/2022م، ص 16-61.

⁵⁸ عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية، مجلة الأصاله، ع 19، 1974، ص 193؛ محمد بسكر: ملامح التأثير الأندلسي في الحياة الثقافية ببجاية، ص 96-97.



اعتنى علماء الأندلس الوافدون على بجاية بعلوم القرآن الكريم وقراءة وتفسيراً، منهم الشيخ أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي المعروف بابن عصفور الإشبيلي (ت670هـ/1271م)، درس ببجاية، وضع تفسيراً للقرآن الكريم سماه "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل"، اطلع عليه الغبريني وقال: "بأنه سلك فيه مسلكاً لم يسبق إليه، من الإيراد والإصدار والأعذار، وبما تعلق بالألفاظ ثم المعاني، ثم بإيراد الأسئلة الأدبية على أنحاء مستحسنة"، قد يندرج ضمن التفسير اللغوي للقرآن على غرار كتاب التصارييف، ليحي بن سلام البصري الأصل والقيرواني الموطن (ت200هـ/815م) - لأن ابن عصفور الأندلسي من علماء اللغة وله تأليف في العربية⁵⁹، استوطن بجاية وكان بها أستاذاً للأمير أبي يحيى.

وحول الأندلسيون بجاية إلى حاضرة للقراء واشتهر منهم المنتسبون إلى مدينة شاطبة في القراءات السبع، إضافة إلى رسم القرآن وضبطه، ومن علماء القراءة بها أحمد بن محمد الصدي الشاطبي أبو العباس (ت674هـ/1275م) من تلامذة أبي محرز، اشتهر بمعرفته للقراءات السبع وضبط القرآن ورسمه وألف في ذلك عدة كتب منها: "كتاب في رسوم الخط" وكتاب آخر في "بيان تمكين ورش حروف المد واللين الثلاثة إذا تقدمتهن الهمزة"، و "رسالة في بيان مذهب ورش في تفخيم اللام وترقيقها، روى عنه الغبريني واستفاد منه بالمشافهة في علم القراءات⁶⁰.

ومن علماء الأندلس والقراء ببجاية أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي، يعرف بابن رحيمة (ت699هـ/1300م) خطيب جامع بجاية لأكثر من 30 عاماً ومن أشهر قرائها، وهو أعلى الناس إسناداً بالشاطبية بها، رواها سماعاً عن أبي بكر محمد بن أبي القاسم بن وضاح سنة (631هـ/1233م)، درس عليه تلميذه الغبريني مجموعة من المؤلفات منها في التفسير⁶¹. واستوطن بجاية وروى ودرى واستجاز وأجاز وأقرأ واستتبع واستنفع به خلق كثير، عالم بالقراءات متقن فيها مجيد لها.

ومن طلبته الوافدين على مدينة بجاية محمد العبدري الأندلسي، صاحب الرحلة، التحق بحلقة الشيخ مرتين وعدّه آخر ما بقي من علماء بجاية، وقرأ عليه قصيدة الفقيه أبي القاسم بن فيره الرعيني الشاطبي في القراءات⁶²، كما قرأ عليه بعض ما في الكتاب المحتوي على الشواذ من القراءات للإمام أبي عمرو المقرئ.

ولحق ببجاية في نفس الوقت رهط آخر من العلماء النازحين، نذكر منهم أبو عثمان بن سعيد بن زاهر الأنصاري البلنسي، وكان إماماً في القراءات والعربية (ت654هـ/1256م)، واستوطن بجاية وأقرأ بها وروى وأسمع وأخذ عنه واستفيد منه، له علم بالقراءات وحظ من العربية محكم الرواية ومتقن الدراية، عرف عنه الزهد والنسك والاشتغال بإقراء القرآن رواية وتفهيماً وبسطاً وتعليماً⁶³.

وكان لابن سيد الناس البعمري الإشبيلي (ت658هـ/1259م) سعة علم ودراية وهو في معرفة القراءات إمام⁶⁴.

⁵⁹ الغبريني: عنوان الدراية، ص 43-149-150-175-176؛ محمد بسكر: ملامح التأثير الأندلسي في الحياة الثقافية ببجاية خلال القرن السابع الهجري، ص 97؛ عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية، ص 196.

⁶⁰ الغبريني: المصدر السابق، ص 43-175-176؛ عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية، ص 196؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 97-98.

⁶¹ الغبريني: عنوان الدراية، ص 40-43؛ بسكري: المرجع السابق، ص 98.

⁶² محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، ص 24-25-130.

⁶³ الغبريني: عنوان الدراية، ص 137؛ عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية، ص 196؛ محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 186.

⁶⁴ الغبريني: المصدر السابق، ص 137-138.

واشتهر أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن غبراهيم الحرالي (ت 637هـ/1240م) بعلم التفسير، فكان يورد الآية ويناسقها نسقاً بديعاً ويتكلم فيها بما لم يسبق إليه، كما أورد ذلك الغبريني، ألف في علم تفسير القرآن كتاباً بعنوان "مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل"⁶⁵.

ب- دور علماء الأندلس في علم الحديث ببجاية:

في هذا السياق نرصد مشاهير أعلام الأندلس في علم الحديث ونبرز دورهم العلمي في هذا التخصص ببجاية، ويتصدرهم الشيخ المحدث الحافظ المتقن المجيد، اللغوي والمؤرخ، أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيّد الناس اليعمري الإشبيلي (ت 658هـ/1259م)، أصله من أئمة التابعة لحمالة جيان وهي من دار اليعمريين بالأندلس، قرأ بإشبيلية ولقي مشائخ من جملتهم والده الفقيه أبو العباس، وأجاز له الكثير من علماء المشرق ومنهم أبو محمد بن يونس بن أبي البركات الهاشمي، وأبو عمر عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الملاح (ت 643هـ/1245م)، كان راوية وحافظاً للحديث، عارفاً برجاله وبأسمائهم وبتاريخ وفاتهم ومبلغ أعمارهم، وكان معتنياً بكتاب صحيح البخاري وإذا قرأ الحديث بسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يستظهر عشرة آلاف حديث بأسانيدها، وولي صلاة الفريضة والخطبة بالجامع الأعظم ببجاية وروى بها وأقرأ واسمع وكثر الأخذون عنه، ولما اشتهر علمه استدعاه السلطان الحفصي المستنصر بالله (-675هـ/647هـ) لحاضرة إفريقية تونس وتصدّر للتدريس بالمدرسة التوفيقية⁶⁶.

ومن علماء الحديث الأندلسيين ببجاية أبو محمد عبد الحق الإشبيلي (ت 582هـ/1186م) يعرف بابن الخراط، الشيخ المحدث الحافظ، أصله من إشبيلية وبها ولد سنة (510هـ/1116م) ورحل إلى بجاية واستقر بها سنة (550هـ/1155م) وتخيّرهما وطناً وولي صلاة الجماعة والخطبة بجامعها الأعظم وتقلد منصب القضاء ببجاية مدة قصيرة وكان مصاحباً للعالم محمد بن علي المسيلي⁶⁷. وذكر ابن فرحون أن سبب هجرته ثورة الموحدون على الدولة المرابطية بالأندلس، فقال: "نزل بجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة اللمتونية"⁶⁸.

وأثبتت له المصادر مؤلفات عديدة أغلبها في علم الحديث، ومنها: "كتاب المرشد" يتضمن حديث مسلم كله، وما زاده البخاري عليه، وله "كتاب الجامع الكبير" في الحديث (كتاب الصحاح الستة) وما أضاف إليها، ونهب منه في الأندلس أثناء الفتنة، وألف "كتاب بيان الحديث المعتل"، وأهم مؤلفاته ومدوناته كتاب "الأحكام الصغرى"، جمع فيه أحاديث نبوية أخرجها من كتب أئمة الحديث، واشتهر كتابه هذا في المغرب الإسلامي والمشرق وكثر النقل منه، كما ألف أيضاً كتاب "الأحكام الكبرى"، وتتضمن هذه المدونات أحكاماً فقهية في العبادات والمعاملات بطريقة الأحاديث كما في الموطأ ومنها أحكام الزكاة التي أشار إليها الغبريني⁶⁹. وله كتب أخرى في علم الحديث لا تقل أهمية على غرار كتاب "التوبة" في سفرين، و "معجزات الرسول

⁶⁵ محمد الطمار: المرجع السابق، ص 180؛ الغبريني: عنوان الدراية، ص 68-69.

⁶⁶ الغبريني: عنوان الدراية، ص 137-138-139؛ ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات، تحقق عادل نويهض، ط 1، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 327؛ أحمد بابا التنبكي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص 381؛ محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط 1، دار الفكر، بيروت، لبنان، دت، ص 176؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 196؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 98.

⁶⁷ الغبريني: المصدر السابق، ص 18-20.

⁶⁸ ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ص 276-277-278.

⁶⁹ الغبريني: المصدر السابق، ص 19؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ص 277.



صلى الله عليه وسلم" في سفر، وكتاب "العاقبة في ذكر الموت وما بعد" وكتاب "الرقائق"، ومختصر "كتاب الكفاية في علم الرواية" وغيرها كثير⁷⁰.

وقد خصه الباحث الجزائري رايح بونار بدراسة مفصلة تناول فيها حياته ونشأته بالأندلس ورحلته إلى بجاية وكثرة مؤلفاته وشيوخه وتلاميذه واحتكاكه بعلماء بجاية وركز عليه كعالم ومحدث بارز⁷¹.

وأضاف الغبريني العلامة المحدث الأندلسي أبو محمد عبد الله ابن عميرة بن طريف ابن أشكورنة الأزدي (661هـ/1262م)، الفقيه الخطيب القاضي العدل المحدث الراوية المتقن، أصله من أهل مرسية، ويعرف بابن برطلة، ووفد على بجاية واستقر بها وولي بها صلاة الفريضة بجامعة الأعظم وكان محدثا بارزا ومن الثقات الأثبات، وارتحل إلى تونس سنة (640هـ/1242م) وحج في عام (656هـ/1258م) وعاد إلى إفريقية إلى أن وافته المنية في ظل الدولة الحفصية⁷².

ونختم سردنا لرواد الحديث الأندلسيين في بجاية بشخصية أبو عبد الله بن محمد الأنصاري المعروف بابن الجنان (ت650هـ/1252م)، وأصله من مدينة مرسية، وكان محدثا، من أهل الرواية والدراية والحفظ والإتقان وجودة الخط وحسن الضبط، ولما استولى النصارى على مرسية غادرها ونزح إلى إفريقية ونزل ببجاية وكان على صلة بعلمائها والوافدين إليها من أهل الأندلس⁷³، وكان أبو مدين شعيب الأندلسي الأصل من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصا جامع الترمذي واستوطن بجاية وفضلها على كثير من المدن⁷⁴.

ج- دور علماء الأندلس في الفقه المالكي ببجاية:

مثلت الهجرات الأندلسية المتوالية إلى حواضر المغرب الأوسط ومنها بجاية، نخبة من العلماء الفقهاء على المذهب المالكي، كان لهم شأن كبير في الساحة العلمية الفقهية، نورد في هذا المقام عينة من مشاهيرهم:

- فضل بن سلمة بن جرير بن منخل الجبني الأندلسي - البجائي - (ت319هـ/931م): فقيه مالكي مخضرم، أندلسي الأصل، عاش في أواخر القرن 3هـ/9م وبدايات القرن 4هـ/10م، مما يدل على أن الهجرات الأندلسية إلى بجاية كانت مبكرة، يكتي أبو سلمة البجائي، أصله من البيرة ودرس بها عن سعيد بن نمر وابن مجلون وأحمد بن سليمان، وقرأ أيضا ببجاية، ثم عقد رحلة إلى القيروان مرتين، ومكث بها عشرة أعوام، تتلمذ بها عن يوسف المغامي ويحيى بن عمر وكلاهما أندلسيان، استقرا بالقيروان، كما لازم حماس بن مروان.

كان أبو سلمة الأندلسي حافظا للفقه على مذهب مالك وأستاذاً لطلبة العلم ببجاية والقيروان، له مؤلفات عديدة في الفقه المالكي، من أهمها "مختصر في المدونة" و "مختصر في السنن والآثار"، وهذا الكتاب في علم الحديث لصاحبه عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/852م) الفقيه المالكي الأندلسي، زاد فيه من فقهه، وله "مختصر لكتاب ابن المواز" الفقيه المالكي المصري وألف كتاباً جمع فيه "مسائل المدونة والمستخرجة والمجموعة" وله جزء في الوثائق، وكان معتنياً بفقه المسائل وحريصاً على المذاكرة وثبت أنه أقرأ ودرّس بالمسجد الجامع ببجاية⁷⁵.

⁷⁰ ابن فرحون: نفس المصدر، ص 277-278؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 98-99.

⁷¹ رايح بونار: عبد الحق الإشبيلي، ص 259-271.

⁷² الغبريني: المصدر السابق، ص 151-152؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 196.

⁷³ الغبريني: نفس المصدر، ص 170-172؛ عبد الله عنان: مدينة بجاية الأندلسية، ص 196.

⁷⁴ ابن مريم المديوني: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ص 202-203-204.

⁷⁵ ابن فرحون: الديباج، ص 315.



- ومن أوائل علماء بجاية وفقهائها المالكيين ذوي الأصول الأندلسية نذكر الشيخ عبد الأعلى أبو المعلي بن معلّي الخولاني أصوله من إلبيرة، من أبناء القرن (3هـ/9م)، أخذ عن ابن مزين وعن يوسف المغامي وعثمان بن أيوب وأدرك أيضاً الفقيه الأندلسي عبد الملك بن حبيب السلمي، كان معروفاً بالزهد والورع والرضى عند الخاصة والعامة، اهتم بفقه المسائل، ورحل إلى بجاية وكان المغامي يحيل على كتبه، لثقتة بصحتها ولا يستبعد أنه درّس في جوامعها⁷⁶.
وحدّث عنه سعيد بن فحلون وعلي بن الحسن المري وذكر ابن الفرضي: رأيت اسمه بخطه على بعض كتبه دون أن يورد عناوينها وقال: لم أقف على تاريخ وفاته⁷⁷.

- وأشار القاضي عياض في مداركه إلى الفقيه المالكي الأندلسي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الخولاني (ت364هـ/974م)، أصله من بلنسية وسكن بجاية، كان فقيها حافظاً مُتصِرفاً في المسائل، يناظر عليها، وله في المدونة اختصار مشهور، ويرجع أنه مارس التدريس بجوامع بجاية وبها دوّن مؤلفاته الفقهية، ونقدر تخرج نفر من الطلبة عنه وإن لم تذكر المصادر أسماءهم، وكفّ بصره قبل وفاته بأعوام⁷⁸.

- ومن الفقهاء الأندلسيين البارزين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري الإشبيلي (ت612هـ/1215م)، اشتهر بالفقيه الأصولي، ولي قضاء المدن بجزيرة الأندلس، ثم استقر ببجاية وأصبح من أهلها وولي القضاء بها ثلاث مرات، وتخلّى عن هذا المنصب سنة (608هـ/1211م) وتوفي بها.

رحل إلى المشرق ولقي العلية والجلّة من أهل العلم، له فضل وجلال وتقدم علمي رقي فيه إلى غاية الكمال، وكان له علم بالفقه وأصوله والخلافات والجدل وله في المعقول الحكيم نظر، وثبت أن له تقييدا على "المستصفى" لأبي حامد الغزالي، وكان في القضاء شديداً على ولادة الأمر لا يساعدهم في شيء من أمورهم ويجاهدتهم بما يكرهون في حق الله وفي حقوق المسلمين وخاصة منهم والي بجاية⁷⁹.

- أبو زكرياء يحيى اللقنتي الأندلسي (القرن 7هـ/13م): الفقيه والمحدّث من أهل الأندلس، رحل إلى بجاية، واستقر بها وقرأ بها وأسمع، وهو استاذ الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبادة، كان له مجلس علمي بالجامع الأعظم سنة (630هـ/1232م)، وعرف بأحكامه الفقهية الاجتهادية في الفتاوى بحضرة نخبة من العلماء البجائيين كأبي الحسن الحرالي⁸⁰.
- أبو بكر محمد المعروف بابن محرز (ت655هـ/1257م): من أهل بلنسية وبها ولد سنة (569هـ/1173م)، قرأ بالأندلس وتكوّن بها علمياً، ثم شدّ الرحال إلى المشرق ودرس بها، ودرس أيضاً بالمغرب الأقصى (بسبّنة ومراكش)، ثم عقد الرحلة إلى بجاية سنة (640هـ/1242م) وأقام بها، وكان مبعلاً عند أهلها، ودرس بها على الشيخ علي بن أبي نصر، وأصبح فقيهاً مجتهداً، حيث كانت تقرأ عليه الكتب الفقهية، فضلاً عن كتب الحديث واللغة والأدب، تصدّر للتدريس واهتم بالخوض في المسائل وله عناية بعقود النكاح، كان مترسلاً للجالية الأندلسية ببجاية، وهو من أصحاب المؤرخ عبد الله بن الأبار وأبو

⁷⁶ ابن فرحون: نفس المصدر، ص 274.

⁷⁷ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)، تحقق روحية عبد الرحمن السويقي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011، ص 229.

⁷⁸ القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق د. أحمد بكير محمود، دط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، د.ت، ج 2، ص 572.

⁷⁹ الغبرني: عنوان الدراية، ص 95-96-97؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 100.

⁸⁰ الغبرني: نفس المصدر، ص 120-121.

المطرف بن عميرة وأبو بكر بن سيد الناس وأبو عبد الله بن الجنان واهتم بتدريس كتاب التلقين وله تقييد عليه مهمة جمعها طلبته⁸¹ وتوفي ببجاية.

- أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي (ت658هـ/1259م): من أهل جزيرة شُقر، هو الفقيه المجيد والمجتهد، سكن بلنسية مدة ثم تولى القضاء بأربولة وشاطبة في الأندلس، وسلا ومكناسة بالمغرب الأقصى وقسنطينة وقابس بتونس، ثم رحل إلى بجاية واستقر بها مدة طويلة ودرّس بها، له علم ودراية بالفقه وأصوله، وتعليق على "كتاب المعالم في أصول الفقه" للسهروردي، وله مراسلات مع حكام الدولة الحفصية بإفريقية على غرار المستنصر⁸².

- أبو العباس أحمد بن خالد المالقي (ت660هـ/1261م): من أهل مالقة، قرأ بالأندلس ودرس بمراكش ولقي جملة أفاضل أهل العلم حيث لازم الفقيه الإمام أبا عبد الله المؤمناني ملازمة كثيرة قدرها 20 سنة وكان يقول: إن مثل هذه المدة لازم أرسطو أفلاطون، كان متخصصاً في أصول الفقه وكان لا يرى بطريقة فخر الدين الرازي التي كان يغلب عليها المنطق في الأصلين (الكتاب والسنة). جلس للإقراء ببجاية وكان يقرأ عليه في منزله من طرف الطلبة الكثير من الكتب من جملتها: "الإرشاد" و "المستصفى"، توفي ببجاية ودفن بحومة باب أمسيون⁸³.

- أبو العباس أحمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري البلنسي - البجائي - (ت693هـ/1293م): من أهل بلنسية وبها ولد سنة (609هـ/1212م)، هاجر إلى بجاية واستوطنها ولقي بها العلماء كابي بكر بن محرز، اشتغل في قطاع العدالة فأشرف على التوثيق وكان مشاوراً أيضاً، ثم تولى قضاء بجاية وكان مُقدِّماً في فصل الأحكام، وأقام صلاة الفريضة بجامعها الأعظم، ثم رحل إلى المغرب الأقصى وحلّ بتونس وبها توفي⁸⁴.

- أبو الحسن علي بن أحمد الأنصاري المعروف بابن السراج (ت657هـ/1258م): ولد بإشبيلية سنة (560هـ/1164م) رحل إلى بلاد المغرب الأوسط واستوطن بجاية، له رواية متسعة في الفقه، أخذ عنه ببجاية كثير من العلماء منهم الشيخ الفقيه أبو الحسن الرندي والفقيه الناقد ابن الأبار وابن سيد الناس وأبو عثمان بن حكيم وغيرهم من مشيخة الأندلسيين⁸⁵.

- أبو مدين شعيب الأندلسي الأصل والبجائي الموطن، يلزم كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ويعكف عليه، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت⁸⁶.

تميزت المدرسة الفقهية المالكية البجائية بالاجتهاد في الفتاوى التي مثلت الأجوبة على المسائل والنوازل الطارئة والخروج من الرتابة في دراسة علم الفقه التي كانت تعتمد في التشريع على النصوص الظاهرية، وحرص الفقهاء الأندلسيون والبجائيون المجتهدون على حفظ أمهات كتب المذهب المالكي وتدريبها كتهذيب البرادعي ورسالة أبي زيد القيرواني

⁸¹ الغبرني: نفس المصدر، ص134-136؛ عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية، ص196؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص100.

⁸² الغبرني: المصدر السابق، ص140-142؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص195؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص100.

⁸³ الغبرني: عنوان الدراية، ص36-37.

⁸⁴ الغبرني: نفس المصدر، ص57-59؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص196-197؛ محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص179.

⁸⁵ الغبرني: عنوان الدراية، ص93-94؛ الطمار: المرجع السابق، ص182.

⁸⁶ ابن مريم المديوني: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ص202.



ومختصره، ولقد أدخل الأندلسيون إلى بجاية أهم الكتب الفقهية المالكية التي ألفها علماء العدو الأندلسية كالمستخرجة والعتبية والواضحة وغيرها ودرّسوها لطلبتهم⁸⁷.

ولما كان الفقه المالكي في هذه الفترة هو دعامة الثقافة الإسلامية خصوصاً بالأندلس والمغرب الإسلامي، حيث مثل الفقهاء قادة الفكر، إلا أن بعضهم قد غلب عليهم التقليد في التدريس والفتوى مما عرّضهم للنقد على غرار أبو بكر ابن العربي الأندلسي (631-731هـ/1233-1331م) الذي قال عنهم في كتابه "العواصم على القواصم": "قد صار التقليد دينهم والافتداء بغيتهم فكلما جاء أحدهم بعلم حقروا أمره..."⁸⁸.

كما دخل إلى بجاية في أواخر القرن (7هـ/13م) مختصر ابن الحاجب الفقهي المسمى "جامع الأمهات" عن طريق ناصر الدين المشدالي (ت731هـ/1330م)، قرأه على مشايخ مصر ونشره بين طلبته، وصار من المقررات الدراسية الأساسية عند الطلبة إلى القرن (8هـ/14م)، ومن بجاية انتقل إلى بقية بلدان المغرب الإسلامي، قال ابن خلدون في ذلك: "ولما جاء كتابه إلى المغرب آخر المائة السابعة، عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصاً أهل بجاية لما كان كبير شيخهم أبو علي ناصر الدين الزواوي، هو الذي جلبه إلى المغرب، فإنه كان قرأه على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك فجاء به وانتشر بقطر بجاية في تلاميذه، ومنهم انتقل إلى سائر الأمصار المغربية"⁸⁹، وكان ناصر الدين المشدالي فقيهاً مجتهداً حيث شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني وعرف بمنهجه التعليمي القائم على المناظرة والتحليل في التدريس وهو من أهل الشورى والفتيا⁹⁰، وبالتالي جاء بمنهج جديد في الفقه المالكي أدخل في مقاييس الاختيار والترجيح، مقياس جديد يقوم على الفتوى والاجتهاد يرتكز على العدول عن القول المشهور إلى قول غيره اجتهاداً واستحساناً واعتباراً للمصلحة الشرعية، وهذا كله ناتج عن الطريقة التي أحدثها مختصر ابن الحاجب الفقهي الذي جمع 66 ألف مسألة، وهو الذي قال فيه ابن خلدون إنه جاء كالبرنامج للمذهب⁹¹.

د- دور علماء الأندلس في العلوم العقلية ببجاية:

لما هاجر علماء الأندلس إلى بجاية وطاب لهم المقام بحاضرتها الحافلة بالعلماء والتي شهدت في العصرين الحمادي والموحدي ثم عصر الدولة الحفصية ابتداء من القرن 7هـ/13م، حياة ثقافية نشيطة بفضل ازدهار العلوم العقلية

⁸⁷ محمد بسكر: المرجع السابق، ص100.

⁸⁸ المهدي البوعبدلي: الحياة الفكرية ببجاية، ص138.

⁸⁹ ابن خلدون: المقدمة، ص342-343.

⁹⁰ الغبريني: عنوان الدراية، ص105-106؛ بوسعد: علماء بجاية في الفقه المالكي، ص18-19؛ سيدي موسى محمد الشريف: التربية والتعليم في الجزائر في العصر الوسيط (بجاية أنموذجاً)، مجلة حولية المؤرخ، ع2، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2002، صفحات 91-95-98؛ محمد بسكر: ملامح التأثير الأندلسي في الحياة الثقافية ببجاية، ص100-101؛ السخاوي: الضوء اللامع لأن القرن التاسع، دط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دت، ج9، ص18.

⁹¹ المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص138-139؛ انظر عن الفقيه ابن الحاجب وكتابه جامع الأمهات: إبراهيم بوجلال: خدمات فقهاء المغرب الأوسط لكتب المالكية - جامع الأمهات لابن حاجب أنموذجاً - كتاب جماعي، المذهب المالكي في الجزائر من التأسيس إلى التفعيل، ط1، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي، تيبازة، الجزائر، 2021، ص120-129؛ انظر عن ناصر الدين المشدالي: راجح بونار: عبقرية المشداليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر، مجلة الأصالة، ع19، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، مجلد 07، ص305-308.



كالفلسفة والمنطق والحساب والرياضيات والطب، وهو ما أكدّه محمد المبارك الميلي: "كانت بجاية بازدهارها الحضاري عاصمة علمية، تدرس بها العلوم العقلية والنقلية على اختلاف أنواعها وتخصصاتها..."⁹².
وهو ما أكدّه أيضا الباحث الجزائري المهدي البوعبدلي: "كان من جملة اللاجئين الأندلسيين أساطين من قادة الفكر، خصوصاً الفلاسفة الذين أحدثت تأليفهم وآراؤهم دويّاً في العالم لا زال يرد صدهاء الباحثون والعلماء من مختلف الأجناس والأديان"⁹³.

⁹² محمد مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج2، ص277.

⁹³ المهدي البوعبدلي: الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركبة، صفحات 136 - 137 - 138.

1- علماء الأندلس ببجاية في الفلسفة والمنطق:

وجدت العلوم العقلية الفلسفية طريقها إلى المدرسة البجائية عن طريق نخبة من الفلاسفة الأندلسيين المشاهير، كما حظيت مؤلفاتهم في هذا التخصص باهتمام الطلبة والشيخ⁹⁴، ومن مشاهيرهم نذكر:

- أبو العباس أحمد بن خالد المالقي (ت 660هـ/1261م): كان مسدد النظر وحسن الفكر، وله ملكة مشاركة في الحكمة في الطبيعيات والإلهيات، عاصر المؤرخ البجائي الغبريني ودرس عنه علم المنطق وقرأ عليه بعض أصحابه من الطلبة والشيخ كتاب "الإشارات والتنبيهات" لابن سينا⁹⁵.

- محمد بن أحمد الحرالي (ت 637هـ/1240م): اشتهر بتعليم الفلسفة وعلم الكلام والأصول، وهو من تلامذة ابن سينا، صنف كتاباً في المنطق، سماه "المعقولات الأولى"، وأخذ عنه طلبته "كتاب النحاة" لابن سينا، فكان ينقض آراءه نقضاً، كان مقيماً بمراكش ورحل إلى المشرق، وقد تكون على الأرجح أصوله أندلسية، وممن لقي بالمشرق الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي إمام الحرم الشريف، وكان أعلم الناس بالمنطق ومتضلعا في علم الطبيعيات والإلهيات وله دراية بعلم القرآن الكريم وعلم الحديث وعلو سند وعلم بالعربية نحواً وأدباً وله الشعر الفائق⁹⁶، واشتغل بتعليم الفلسفة والأصول وعلم الكلام.

- عبد الحق بن سبعين (613-667هـ/1216-1268م): أصوله أندلسية ورغم أنه متصوف إلا أنه أتقن العلوم الفلسفية، وله فيها رسائل من بينها رسالته المسماة "المسائل الصقلية"، وهي مسائل فلسفية ورسائل أحدثت هزة عنيفة في الأوساط العلمية المسيحية الذين كانوا في بلاط الإمبراطور فريديريك الثاني ملك صقلية، والأصل أن هذا الأخير وجهها إلى المسلمين، فرجعت إليه أجوبة مختلفة لم ترضه، وعندما وجهت إلى ابن سبعين ضحك منها وأجابه بما أرضاه، والأسئلة متعلقة بماهية العالم، قديم أو حديث وما المقصود بالعلم الإلهي وما هي المعقولات وطبيعة النفس ونقاؤها؟ وسؤال أين خالف الإسكندر الأفروديسي أرسطو طاليس؟⁹⁷.

- أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي: له معرفة بالنظر في المعقولات، حتى اتهم بالزندقة عند من لا يعرف قيمته العلمية حسب ما أورده الغبريني وله مناقشات طريفة مع أبي علي المسيلي وعبد الحق الإشبيلي⁹⁸.

2- علماء الأندلس ببجاية في الحساب والرياضيات:

اشتهرت بجاية بتدريس علمائها لعلم الحساب والرياضيات، وبها تعلم ليونارد فيوناتشي العالم الإيطالي الرياضي والمهندس المشهور، الحساب والجبر والهندسة، وقام بأعمال وأبحاث رياضية مهمة، وهو أول من طبق عمليات الجبر على الهندسة⁹⁹. ومن المعروف أن الأرقام المستعملة في العالم إلى اليوم، قد ابتكرت في بجاية، التي برز بها العديد من العلماء في الحساب، أمثال: أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري (ت 675هـ/1276م)، أصله من الأندلس وتحديداً

⁹⁴ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 101؛ البوعبدلي: المرجع السابق، ص 137.

⁹⁵ الغبريني: المصدر السابق، ص 36-37؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 101.

⁹⁶ الغبريني: نفس المصدر، ص 69-70-78؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 101.

⁹⁷ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 101-102؛ المهدي البوعبدلي: الحياة الفكرية في بجاية، ص 137؛ الطمار: المرجع السابق، ص 182.

⁹⁸ الغبريني: المصدر السابق، ص 79 ومات بعدها؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 101.

⁹⁹ مصطفى: بجاية في عهد الحماديين، ص 89؛ رشيد بورويبة: الدولة الحمادية، ص 164-199؛ محمد مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 2، ص 277؛ محمد بسكر: المرجع السابق، ص 101.



من مدينة آبدة، ولد ببجاية وقرأ بها، وجدّه عمر هو الواصل إلى بجاية مستوطناً، كان حفيده ابن عمر الأنصاري عالماً موسوعياً في أصول الفقه والمنطق والفرائض والحساب¹⁰⁰.

3- علماء الأندلس ببجاية في علم الطب:

برز علماء بجاية في الطب وساهم الأندلسيون المهاجرون إليها في تطوير هذا العلم بمؤلفاتهم وأبحاثهم، وفيما يلي نشير إلى نماذج من الأطباء الأندلسيين المستقرين ببجاية:

- أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن أندراس (ت674هـ/1275م): أصوله من مدينة مرسية، اشتهر بمعرفة الطب، ودرّس ببجاية أرجوزة الحكيم ابن سينا وكتاب القانون له، وكان متولياً لطب الولاية (حكام الدولة الحفصية)، وقد اشتهر في مهنة التطبيب والعلم فيه، حتى وصل خبره إلى الحاكم "المستنصر" فاستدعاه إلى بلاطه بتونس وقرّبه وجعله أحد أطبائه، درس عليه الغبريني كتاب "قانون أبي موسى الجازولي" وكتاب "كليات القانون" وكانت الأبحاث في كل ذلك جارية على القوانين النظرية والاستدلالات الجلية، وكان إذا سئل عن المسألة الطبية كثيراً ما يتوقف عن الجواب إلا بعد نظر ورأيت غيره ممن يقصد في معرفة الطب بالتسرع في الجواب، وقد على بجاية وكان يقرئ بها واشتهر بدقته وبراعته في تشخيص الأمراض والبحث عن أسباب العلل¹⁰¹.

- أبو العباس أحمد بن خالد المالقي (ت660هـ/1261م)، من أهل مالقة وقرأ بالأندلس، ذكر الغبريني بأنه قد كانت له شركة في الطب، فهل يقصد مؤسسة صحية (مستشفى) أو مشاركة علمية في الطب؟¹⁰².

وقد برز البجائيون بالأندلس في علم الطب، ومنهم العالم الطبيب محمد بن عبد الله بن حامد البجائي المعروف باب النباش، تعلم ببجاية، ثم شد الرحال إلى الأندلس واستقر في مدينة مرسية، وعرف فيها كطبيب ماهر وقصده الناس من كل مناطق الأندلس، وصفه ابن أبي أصيبعة بأنه كان معتنياً بصناعة الطب، مداوم على علاج المرضى وذو معرفة بعلم الطبيعيات¹⁰³.

¹⁰⁰ الغبريني: عنوان الدراية، ص 27-30.

¹⁰¹ الغبريني: نفس المصدر، صفحات 37-38-39؛ محمد يسكر: المرجع السابق، ص 101؛ عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية، ص 196.

¹⁰² الغبريني: المصدر السابق، ص 37.

¹⁰³ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقق باسل عيون السود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ص 1457؛ عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين (3-14هـ/9-20م)، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 26-27.

**هـ- دور علماء الأندلس ببجاية في التاريخ:**

وفد على بجاية ثلّة من المؤرخين الأندلسيين على غرار ابن الأبار كما شرفها بالرحلة إليها المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون قادماً من الأندلس، وهناك من اهتم بالتأريخ لها، وهو ما قام به المؤرخ الأندلسي لسان الدين بن الخطيب، أما زيارته لبجاية فإنها تتأرجح بين الإثبات والنفي لدى الباحثين.

1- رحلة أبي عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ابن الأبار (ت658هـ/1259م):

ينتسب إلى عائلة القضاعيين بالأندلس، هو الشيخ الفقيه والمحدث والمقري والنحوي والمؤرخ والشاعر الكبير من أهل بلنسية، غادرها بعد سقوطها بيد النصارى ونزل بتونس في كنف عاهلها الأمير أبي زكرياء ولقي الرعاية من ولده المستنصر، وكان وصوله من الأندلس رسولاً من والي بلنسية إلى أمير إفريقية الحفصي، ثم قفل راجعاً إلى الأندلس، وعاد أدراجه إلى بلاد المغرب قاصداً استيطانها فتخير سكنى بجاية، درس القراءات واهتم بالتاريخ، فألف كتاب التكملة لكتاب الصلة (لابن بشكوال)، الذي تضمن تراجم طبقات فقهاء المالكيين الأندلسيين، ولا شك أن ساكنة بجاية من الطلبة والعلماء قد استفادوا من هذا السفر ومن علم ابن الأبار جملة. وقد استدعاه المستنصر من بجاية إلى تونس وضمه إلى بطانته العلمية، إلا أن خصومه تأمروا عليه وحرّضوا حاكم إفريقية ضده فاشتد عليه غضبه وأمر بجلده ثم قتله¹⁰⁴.

2- عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1405م) الإشبيلي الحضرمي:

رحل عبد الرحمن بن خلدون إلى بجاية مرتين، كانت زيارته الأولى انطلاقاً من تونس وقد مكث بها بين (-755/754هـ-1353/1354م)، وقد تزامنت رحلته مع خضوع بجاية للسلطة المرينية، وشهدت هذه الفترة تأزم الوضع السياسي بسبب انقسام البيت الداخلي للحكم الحفصي والتنازع بين أمرائها بتونس وبجاية وقسنطينة، ورغم حالة عدم الاستقرار السياسي إلا أن ابن خلدون لم ينقطع عن حضور المجالس العلمية والدراسة على علمائها والوافدين عليها والاستفادة من خزائن الكتب الموجودة بها، ثم قرر مغادرتها سنة (755هـ/1354م) رقم ما لقيه من أهلها من حفاوة وتوجه إلى فاس في عصر الدولة المرينية¹⁰⁵.

وامتدت إقامته الثانية بين (766-767هـ/1364-1365م)، بعد عودة حكم الدولة الحفصية إلى بجاية في عهد الأمير أبي عبد الله محمد ابتداء من سنة (765هـ/1363م)، فاستقدم عبد الرحمن بن خلدون بعد استئذانه للسلطان أبي عبد الله بن الأحمر بمغادرة الأندلس انطلاقاً من مدينة ألمرية وتوجه رأساً إلى بجاية وكان ذلك سنة (766هـ/1364م)، واستقبل من طرف أميرها والرعية بالترحاب، وحاز ابن خلدون حظوة بالغة فيها حيث أسندت له الخطابة بجامع القصبة وتولى الحجابة بقصر الإمارة وتصدر للتدريس أثناء النهار بجامع القصبة كما ذكر في رحلته، إلا أن الصراع المحتدم بين أبي عبد الله أمير بجاية وابن عمه العباس أمير قسنطينة، لم يشجع ابن خلدون على البقاء فيها، وفضل مغادرتها واللجوء إلى بسكرة تحت حماية صاحب له هو الشيخ أحمد بن يوسف بن مزني¹⁰⁶.

¹⁰⁴ الغبريني: عنوان الدراية، ص 145-146-147؛ عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية، ص 195؛ الطيب بوسع: علماء بجاية في الفقه المالكي، ص 32-33.

¹⁰⁵ عبد الحميد حاجيات: ابن خلدون في بجاية، مجلة الأصالة، ع 19، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، ص 194-195.

¹⁰⁶ عبد الرحمن بن خلدون: رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009، ص 92-96؛ عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 197-199؛ عبد الله عنان: ابن خلدون في بجاية، مجلة الأصالة، ع 19، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، المجلد 07، ص 181-190.

3- لسان الدين بن الخطيب وتاريخ بني حماد (ت776هـ/1374م):

عثر الباحث الجزائري رايح بونار - رحمه الله - على مخطوط نادر نشره لأول مرة في مجلة الأصالة منسوب إلى مؤلفه لسان الدين بن الخطيب - المؤرخ الأندلسي - حول تاريخ بني حماد، وهو يمثل بعض أجزاء القسم الثالث من كتابه أعمال الأعلام، وهي نبذة تاريخية ذات أهمية لأنها تتناول تاريخ بني حماد وحضارتهم في القرنين (5-6هـ/11-12م)، وذكر رايح بونار أن هذه النبذة تعتبر جزءاً مكملًا لما كتبه ابن خلدون عنها في كتاب العبر في الجزء السادس. وقد توجد معلومات قيّمة لا نجدها في تاريخ ابن خلدون ومن هنا تأتي قيمة هذه النبذة التاريخية والمعنونة في أصل المخطوط على هذا النحو: "ذكر قسم الملوك صنهاجة من ذرية حماد بن بلكين بقلعة حماد وبجاية وما إليها"¹⁰⁷، متدرجاً على حكاهما منذ تأسيس الدولة بقلعة المعاضيد (الحضنة بالمسيلة اليوم)، إلى تثبيت الدولة الحمادية الناصرية ببجاية: (1) دولة بني حماد بن بلكين بن زيري بن مناد، (2) دولة القائد بن حماد بن بلكين بن زيري، (3) دولة محسن بن القائد بن حماد بن بلكين، (4) دولة بلكين بن محمد بن حماد بن بلكين، (5) دولة الناصر بن علناس بن حماد، (6) دولة المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد، (7) دولة باديس بن المنصور بن الناصر بن علناس، (8) دولة العزيز بن المنصور بن علناس، (9) دولة يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر¹⁰⁸.

خاتمة:

تمخضت عن عناصر البحث ومتونها الزاخرة بالمعلومات عن الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط وآثارها العلمية ببجاية خلال الفترة الممتدة بين القرنين (5-9هـ/11-15م) جملة من الاستنتاجات نلخصها في الأفكار التالية:

- عرفت بجاية منذ عصر الدولة الحمادية في القرن 5هـ/11م نهضة حضارية اقتصادية وعمرانية وعلمية تواصلت عبر الحقب الزمنية المتعاقبة إلى عصر الدولة الحفصية والزيرية (7-9هـ/13-15م)، جعلت منها مقصداً ومرصداً للهجرات الأندلسية.

- ساهمت عدة عوامل في استقطاب المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب الأوسط وبخاصة إلى بجاية، بفضل موقعها الجغرافي الإستراتيجي وخصائصها الطبيعية المميزة (مناظرها الخلابة، نقاء هوائها وخصوبة التربة ووفرة الموارد المائية... الخ)، وطيبة أهلها وتدينهم والتسهيلات المادية والمعنوية للأندلسيين من طرف حكامها على غرار المنصور بن الناصر، وسيادة الحرية الفكرية فيها والعلاقة السياسية والاقتصادية بين بجاية والأندلس منذ ق 2هـ/8م، بالإضافة إلى عدم الاستقرار السياسي في عصر ملوك الطوائف بالأندلس وتصاعد حركة الاسترداد الصليبية وما ترتب عليها من تهجير جماعي لسكان الأندلس المسلمين.

- مرت الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط (بجاية أنموذجاً) بعدة مراحل، مثلت المرحلة الثانية الممتدة ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م) الزخم الكبير والتدفق المنقطع النظير للاجئين الأندلسيين بسبب خطورة الوضع السياسي بالأندلس أمام تنامي الحملات الصليبية للممالك المسيحية (أرغون وقشتالة) وضعف دولة المرابطين ثم دولة الموحدين رغم جهودهما في حماية الأندلس والمسلمين خلال عهود قوتها.

¹⁰⁷ رايح بونار: تاريخ بني حماد لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ، مخطوط ينشر لأول مرة، مجلة الأصالة، ع19، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، مجلد 07، ص89.

¹⁰⁸ رايح بونار: نفس المرجع، من ص90 إلى 96.



- رغم الظروف العصيبة التي مرّ بها المهاجرون الأندلسيون في شبه الجزيرة الإيبيرية، إلّا أنّهم بعد استقرارهم في المغرب الأوسط عموماً وبجاية خصوصاً قد تركوا موروثهم الحضاري الملموس، ولاسيما العلمي منه في مختلف العلوم النقلية والعقلية بفضل مشاهير علمائهم النوابع، مما أسهم في إثراء الحركة العلمية بتظافر الجهود مع علماء بجاية، وهو ما أحدث تلاقحاً فكرياً فريداً من نوعه في العالم الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع:

1- قائمة مصادر

- 1- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقق باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.
- 2- ابن الأبار: الحلة السيرة، تحقق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج2.
- 3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الرقاق، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987، ج5.
- 4- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)، تحقق روحية عبد الرحمن السويدي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011.
- 5- ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992.
- 6- ابن حيان القرطبي: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقق محمو علي مكي، دط، دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1994.
- 7- ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996.
- 8- ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات، تحقق عادل نويهض، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.
- 9- التلمساني أحمد المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب...، تحقق إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، 1968، ج2.
- 10- السخاوي: الضوء اللامع لأن القرن التاسع، دط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دت، ج9.
- 11- العبدري محمد البلنسي: الرحلة المغربية، تحقق الأستاذ أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، دط، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، دت.
- 12- الغبريني أبو العباس: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقق محمد بن أبي شنب، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007.
- 13- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق د. أحمد بكير محمود، دط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، دت، ج2.
- 14- المديوني ابن مريم المليتي: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق أ. د. عبد القادر بوبايا، ط1، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2011.
- 15- المراكشي ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جورج كولان وليفي بروفندسال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009، ج2.



- 16- المراكشي عبد الواحد بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحق خليل عمران المنصور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.
- 17- بن خلدون عبد الرحمن: رحلة ابن خلدون، تحق محمد بن تاويت الطنجي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.
- 18- بن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.
- 19- بن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، تحقيق عادل بن سعد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2010.
- ج1.
- 20- مؤلف مجهول: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.
- 2- المراجع:
- أ- الكتب:
- 1- بلغيث محمد الأمين: حلقات في تاريخ الغرب الإسلامي، ط1، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
- 2- بوجلال إبراهيم: خدمات فقهاء المغرب الأوسط لكتب المالكية - جامع الأمهات لابن حاجب أنموذجاً - كتاب جماعي، المذهب المالكي في الجزائر من التأسيس إلى التفعيل، ط1، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي، تيبازة، الجزائر، 2021.
- 3- بورويبة رشيد: الجزائر في التاريخ - العهد الإسلامي -، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج3.
- 4- بورويبة رشيد: الدولة الحمادية - تاريخها وحضارتها -، ط1، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
- 5- بوسعد الطيب: طبقات فقهاء المالكية في بجاية بين القرن (5-9هـ/11-15م)، إنتاجهم وتأثيرهم العلمي في المغرب والأندلس والمشرق، كتاب جماعي، المذهب المالكي في الجزائر من التأسيس إلى التفعيل، طباعة مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي مرسل عبد الله، تيبازة، الجزائر، 2021.
- 6- بوسعد الطيب: علماء بجاية في الفقه المالكي خلال العصور الوسطى ما بين القرنين (5-9هـ/11-15م)، مشروع كتاب، الجزائر، 2021/2022م.
- 7- بوسعد عبد العزيز: تاريخ المغرب الكبير - العصر الإسلامي -، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2.
- 8- بوسعد الطيب: علماء متيجة في العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، كتاب جماعي، البلدة تاريخ مدينة وتراث مجتمع، ط1، دار أجيال الرقمي، أولاد فايت، الجزائر، 2023.
- 9- البوعبدلي المهدي: تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، دط، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 10- التنبكي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989.
- 11- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.



- 12- الحجي عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، ط2، دار القلم، دمشق، سوريا، 1981.
 - 13- حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج3.
 - 14- خليفي رفيق: تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط (ق 2-10هـ/8-16م)، مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، مؤسسة حسين رأس الجبل، قسنطينة، الجزائر، 2013.
 - 15- سامعي إسماعيل: تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2018.
 - 16- عنان عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1990.
 - 17- الشطشاط علي حسين: نهاية الوجود الغربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
 - 18- الطمار محمد: الروابط الثقافية بين الجزائر والمغرب، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
 - 19- العبادي أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دت.
 - 20- عنان عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1997.
 - 21- عويس عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الهجرة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
 - 22- فيلاي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999.
 - 23- لعرج عبد العزيز وآخرون: مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
 - 24- مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، دت.
 - 25- مصطفى رشيد: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، ع1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1971.
 - 26- مؤنس حسين: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصاري سنة (512هـ/1118م) مع أربع وثائق جديدة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1991.
 - 27- الميلي محمد مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج2.
 - 28- هلال عمار: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين (3-14هـ/9-20م)، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
- ب- المقالات:
- 1- بسكر محمد: ملامح التأثير الأندلسي في الحياة الثقافية ببجاية خلال القرن السابع الهجري، بجاية مكة الصغيرة، دراسات مهداة للشيخ محمد الطاهر آيت علجت، مجلة الريثة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مطبعة ع. قري، باتنة، الجزائر، 2022.



- 2- بوسع الطيب: العلاقات الاجتماعية بين الدولة الأغلبية والدولة الأموية في الأندلس - الهجرات المتبادلة أنموذجاً -، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، ع12، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البليدة 2، الجوائر، 2015.
 - 3- البوعبدلي المهدي: الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركبة، مجلة الأصالة، ع19، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، مج 07.
 - 4- بونار رايح: تاريخ بني حماد للسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ، مخطوط ينشر لأول مرة، مجلة الأصالة، ع19، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، مجلد 07.
 - 5- بونار رايح: عبد الحق الإشبيلي محدث القرن السادس الهجري، مجلة الأصالة، ع19، - خاص ببجاية -، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، مجلد 07.
 - 6- بونار رايح: عبقرية المشذالين العلمية في بجاية على عهد الإسلام الزاهر، مجلة الأصالة، ع19، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، مجلد 07.
 - 7- حاجيات عبد الحميد: ابن خلدون في بجاية، مجلة الأصالة، ع19، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974.
 - 8- سعيدوني ناصر الدين: صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر، المجلة العربية للثقافة، ع27 - عدد خاص بالتاريخ العربي في الأندلس -، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مصر، 1994.
 - 9- سيدي موسى محمد الشريف: التربية والتعليم في الجزائر في العصر الوسيط (بجاية أنموذجاً)، مجلة حولية المؤرخ، ع2، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 2002.
 - 10- عنان عبد الله: ابن خلدون في بجاية، مجلة الأصالة، ع19، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1974، المجلد 07.
 - 11- عنان عبد الله: مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، ع13، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1973، مجلد 04.
 - 12- عنان عبد الله: مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، ع13، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1973، مجلد 07.
 - 13- لزغم فوزية: البيوتات العلمية بقسنطينة وبجاية في ظل الحفصيين، مجلة عصور الجديدة، ع14-15، جامعة وهران، الجزائر، 2014.
 - 14- مصطفى رشيد: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، ع1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1971.
 - 15- هوارى موسى: دور الرحالة الأندلسيين في إعادة بناء المدن الساحلية بالمغرب الأوسط - وهران وتنس أنموذجاً -، مجلة الدراسات التاريخية، ع1، الجزائر، مجلد 10، 2022.
- ج- الرسائل الجامعية:
- 1- مزدي فاتح: التفاعل العلمي بين دول المغرب الأوسط والأندلس ما بين القرنين (2-8هـ/8-14م)، أطروحة دكتوراه ل.م.د، إشراف أ.د. الطيب بوسع، جامعة البليدة 2، 2023/2022.